ملتقى خريجي الجامعات السعودية من دول البلقان
Forum of Alumni from Saudi Universities in the Balkans

نظرة تاريخية على العلاقات بين المملكة العربية السعودية ودول البلقان

مقدم لملتقى خريجي الجامعات السعودية من دول البلقان

١٢-١٤ محرم ١٤٤٧هـ الموافق ٧-٩ يوليو ٢٠٢٥م

أ.د. سناد تشيمان

جامعة سراييفو – كلية الدراسات الإسلامية، رئيس قسم الفقه، ومدير مركز الوسطية للحوار التابع للمشيخة الإسلامية في البوسنة والهرسك

senad.ceman@fin.unsa.ba

مقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبفضله تُنال المكرمات، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أتقدم بخالص الشكر، وعظيم التقدير، وصادق الامتنان، إلى مقام خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود، وإلى سمو ولي العهد الأمير محمد بن سلمان، حفظهما الله، وإلى حكومة المملكة العربية السعودية وشعبها النبيل، على ما يقدمونه من جهود مشهودة في خدمة العلم والعلماء، والدعوة إلى الله تعالى، وتعزيز الروابط الأخوية والثقافية مع مختلف شعوب العالم الإسلامي، ومنها شعوب منطقة البلقان.

وأخص بالشكر والامتنان الجامعات السعودية المباركة التي كان لها الأثر البالغ في تكويني العلمي والفكري، وفي مقدمتها جامعة الملك سعود، حيث أنهيت برنامج معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ثم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية حيث تخرّجت من كلية الشريعة. لقد كانت تلك السنوات، وما زالت، من أهم المحطات في حياتي، العلمية والإنسانية بما حملته من معرفة رصينة، وتجارب نبيلة، وتكوين متكامل. ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أستحضر بامتنان إخوتي وأصدقائي من المملكة، الذين ربطتني بهم أخوّة صادقة، لا تزال حاضرة وفاعلة، وننعم بها في تبادل الفهم، والمودة، والاحترام المتبادل.

وقد تشرّفت بتكليفي من قِبل الجهة المنظمة لهذا الملتقى بتقديم هذا البحث بعنوان: "نظرة تاريخية على العلاقات بين المملكة العربية السعودية ودول البلقان"، وهو تكليف أعتزّ به غاية الاعتزاز، لما ينطوي عليه من ثقة وتقدير، ولما تحمله هذه القضية من أهمية بالغة في فهم طبيعة العلاقة بين المملكة وهذه المنطقة من العالم الإسلامي؛ علاقة لا يمكن الإحاطة بأبعادها دون العودة إلى خلفيتها التاريخية العميقة، وجذورها الروحية والعلمية التي سبقت الأطر الرسمية والتمثيل الدبلوماسي بقرون. وقد اختير هذا العنوان انطلاقًا من قناعة راسخة بأن أي فهم واقعي واستراتيجي للعلاقات بين الدول لا يكتمل إلا بإدراك أُسسها التاريخية، ومدى تجذّرها في الوجدان الجمعي للشعوب. وفي هذا السياق، تتجاوز العلاقة بين المملكة العربية السعودية ودول البلقان حدود الاتفاقيات الثنائية، إذ تمتدّ جذورها إلى قرون من التواصل الحي، عبر مناسك الحج، والتعليم الشرعي، والدعوة، والعمل الخيري والثقافي، مما يجعلها نموذجًا مميزًا في ذاكرة العلاقات الإسلامية العابرة للحدود.

لقد تناولتُ في هذا البحث أحد الجوانب الجوهرية في العلاقات السعودية البلقانية، وهو البعد الروحي والعلمي، انطلاقًا من فريضة الحج إلى الحرمين الشريفين، ومرورًا بتجربة التعليم في الجامعات السعودية، ووصولًا إلى الأثر الذي تركه خريجو تلك الجامعات في بلدانهم بعد عودتهم، حيث أسهموا في بناء مجتمعاتهم، وتعزيز الوعي الديني الوسطي، وخدمة الثقافة الإسلامية المحلية بما ينسجم مع خصوصيات البيئة البلقانية. هذا البعد، وإن لم يكن ظاهرًا في التقارير السياسية أو وسائل الإعلام، إلا أنه في الحقيقة يُشكّل حلقة أساسية من حلقات العلاقة بين المملكة ودول البلقان؛ حلقة قد تكون صامتة في ظاهرها، لكنها راسخة في جذورها، متواضعة في مظهرها، عميقة في أثرها. ولا شك أن هذه المبادرة الكريمة لتنظيم هذا المؤتمر العلمي المتميّز تُجسّد بوضوح ما أشرنا إليه، فهي تعبير صادق عن رغبة أصيلة في بناء الجسور، وتقدير حقيقي لقيمة التواصل المستمر بين الشعوب، وثمار التعليم والتزكية، وأثر الصحبة الصالحة والمشاركة المعرفية. وأقول بكل فخر وصدق إنني، رغم مشاركتي في العديد من المؤتمرات المرموقة، لم أشهد في أي منها هذا القدر من التقدير، والدفء الإنساني، والاحترام المتبادل، والاعتزاز بالانتماء المشترك، كما وجدته هنا بين زملائي وإخواني من خريجي الجامعات السعودية. وأرجو أن يكون هذا البحث لبنة متواضعة في بناء صرح الفهم الأعمق للعلاقات

السعودية البلقانية، وإسهامًا صادقًا في إبراز وجه مشرق من وجوه هذه العلاقة المباركة؛ وجه قلّ أن يُكتب عنه أو يُتناول في الأدبيات السياسية، لكنه لا يقلّ أهمية ولا أثرًا عن سائر الأبعاد. وأسأل الله عزّ وجل أن يبارك هذا اللقاء، وأن يسدّده، وأن يجعله وسيلة للتعارف والتواصل، وتوثيق أواصر الخير، لما فيه صلاح أوطاننا ونفع أمتنا. والله الموفق والمستعان.

الفصل الأول: الجذور التاريخية للعلاقات بين المملكة العربية السعودية ودول البلقان

ارتبطت منطقة البلقان بالعالم الإسلامي منذ الفتح العثماني في القرن الرابع عشر، حين أصبحت شعوب عديدة من هذه المنطقة جزءًا من الأمة الإسلامية الكبرى. ومنذ ذلك الحين، نشأت روابط روحية وثقافية وتجارية بين شعوب البلقان والحجاز، ولا سيما عبر فريضة الحج، التي كانت تؤدّى عبر قوافل تمرّ بالمشرق العربي أو عبر البحر الأحمر. ورغم أن المملكة العربية السعودية لم تُؤسَّس رسميًا إلا في عام ١٩٣٢م، فإنّ التواصل بين الحرمين الشريفين ومسلمي البلقان يمتدّ إلى قرون طويلة سبقت ذلك التاريخ. فقد كانت مكة المكرمة والمدينة المنورة وجهتين مركزيتين للعلم والحج، يقصدُهما الحجاج وطلاب العلم من البوسنة، وألبانيا، وكوسوفو، والطوربيشيين من شمال مقدونيا، وغيرهم، لأداء المناسك أو التزود بالعلم الشرعي. ومن الجدير بالتنويه أن المراسلات المتبادلة بين علماء البلقان وعلماء الحجاز، والفتاوى التي كانت تصدر في هذا السياق، شكّلت نمطًا مميزًا من "العلاقات غير الرسمية" التي سبقت العلاقات الدبلوماسية بقرون. وقد رصدت دراسات علمية متعددة وجود مخطوطات باللغة العثمانية والبوسنية، تحوي إشارات واضحة إلى شيوخ الحرمين، ومواقفهم الفقهية، وفتاواهم في نوازل متنوعة. ومع بدايات القرن العشرين، بدأ الحجاج من البلقان يتوجّهون إلى مكة المكرمة عبر البحر، مرورًا بموانئ صيدا أو طرابلس في بلاد الشام، أو عبر مصر، في رحلات كانت تستغرق أسابيع، لكنها كانت حافلة بالمعنى، وعميقة الرمزية. وقد أسهمت تلك الرحلات في تكوين وعي مشترك، وتعزيز ارتباط وجداني بالحرمين الشريفين، وهو ما أرسى قاعدة روحية وثقافية ممهّدة للعلاقات التي ستتبلور لاحقًا بين المملكة ودول المنطقة.

وفي هذا السياق، تبرز أهمية البعد الوجداني الذي تركته تلك الزيارات المتكررة، والتي نُقلت إلى الأجيال التالية في شكل يوميات ومذكرات ما زالت محفوظة في عدد من المكتبات والمجموعات الخاصة، وهي وثائق تستحق الدراسة والتحقيق، لما تحمله من قيمة إنسانية وتاريخية بالغة.

الفصل الثاني: تطور العلاقات الثنائية بين المملكة العربية السعودية ودول البلقان

تميزت العلاقات بين المملكة العربية السعودية ودول البلقان بتطور تراكمي هادئ، بدأ مع الاعترافات الرسمية المتبادلة في تسعينيات القرن العشرين، واستمر في التبلور عبر قنوات دبلوماسية وتعليمية وثقافية متعددة. ورغم هذا المسار المتقدم، لا تزال هذه العلاقات تحتفظ بإمكانات واسعة للتوسّع والتعميق، خصوصًا في مجالات التعليم العالي، والتعاون الثقافي والديني، والدبلوماسية الشعبية، التي تزداد أهمية في زمن العولمة وتحولات الهوية. وفيما يلي استعراض موجز لأهم المحطات في علاقات المملكة مع كل دولة من دول البلقان، مع تسليط الضوء على أبرز مجالات التعاون، واستشراف إمكانات النمو المستقبلي، لا سيما في ما يتصل بأدوار الجامعات السعودية ومبادراتها في دعم التكوين العلمي والثقافي في المنطقة.

أ. العلاقات الثنائية بين المملكة العربية السعودية واليونان

رغم أن اليونان ليست دولة ذات غالبية مسلمة، إلا أن العلاقات بينها وبين المملكة قد تطورت في العقود الأخيرة، خاصة في مجال التعاون الاستراتيجي والاقتصادي، حيث وُقّعت مذكرة تفاهم لإنشاء مجلس تعاون رفيع المستوى سنة ٢٠٢١. من منظور الجامعات السعودية، يبقى المجال الإنساني والثقافي محدودًا، لكن هناك اهتمامًا متزايدًا بالحوار الحضاري والتبادل الأكاديمي في سياق العلاقات الإسلامية-المسيحية.

ب. العلاقات الثنائية بين المملكة العربية السعودية وبلغاريا

بدأت العلاقات الرسمية في عام ١٩٩٥، وشهدت تطورًا ملحوظًا في السنوات الأخيرة، مع تزايد الاهتمام بالاستثمار والتعليم. من أبرز المجالات التي يمكن تعزيزها مستقبلًا المنح الدراسية، التبادل الطلابي، والبحوث المشتركة في قضايا التعايش الديني والمجتمعي، خصوصًا في ظل وجود أقلية مسلمة معتبرة في بلغاريا.

ت. العلاقات الثنائية بين المملكة العربية السعودية ورومانيا

العلاقات بدأت أيضًا في التسعينيات، وبرزت في السنوات الأخيرة من خلال توقيع اتفاقيات في مجالات الطاقة والدفاع. في المجال العلمي، يمكن فتح قنوات تواصل أكاديمي من خلال دراسات الشرق الأوسط واللغة العربية، إلى جانب التبادل الطلابي في الجامعات الإسلامية.

ث. العلاقات الثنائية بين المملكة العربية السعودية وألبانيا

تُمثّل ألبانيا حالة متميّزة في السياق البلقاني، نظرًا لأن غالبية سكانها من المسلمين، ولما تمتاز به من روابط ثقافية وروحية عريقة مع العالم الإسلامي. وقد حرصت المملكة العربية السعودية، على مدى العقود الماضية، على تقديم دعم تنموي وإنساني متواصل لهذا البلد، شمل مجالات متعدّدة في البنية التحتية، والتعليم، والإغاثة. وقد استفاد عدد كبير من الطلاب الألبان من فرص التعليم في الجامعات السعودية، حيث تلقّوا تكوينهم في العلوم الشرعية واللغوية، ما يعزز اليوم إمكانات الشراكة المستدامة بين الجانبين، خصوصًا في مجالات الفقه، واللغة العربية، وتطوير مناهج التعليم الإسلامي الوسطي. كما تحافظ الجامعات السعودية على علاقات مؤسسية وثيقة مع المشيخة الإسلامية في ألبانيا، وهو ما يشكّل إطارًا متينًا لأي تعاون علمي أو دعوي مشترك في المستقبل.

ج. العلاقات الثنائية بين المملكة العربية السعودية والبوسنة والهرسك

تُعد البوسنة والهرسك من أكثر دول البلقان قربًا من المملكة العربية السعودية، من حيث الروابط الدينية والثقافية والتاريخية. وقد وقفت المملكة إلى جانب شعب البوسنة خلال الحرب، مساندةً له في مختلف الميادين الإغاثية، والسياسية، والإنسانية، والإعلامية. كما احتضنت الجامعات السعودية أعدادًا كبيرة من طلاب البوسنة، الذين تلقّوا تعليمهم في الشريعة والدعوة، وأسهموا بعد عودتهم في بناء جيل جديد من العلماء والمربّين والدعاة المعتدلين. وفي سياق هذه المواقف، تجدر الإشارة إلى موقف المملكة الحازم بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، رحمه الله، في إدانة العدوان على البوسنة منذ اندلاع الحرب عام ١٩٩٢م، حيث عبّرت المملكة بوضوح عن تضامنها مع البوسنيين، سياسيًا وإنسانيًا وإعلاميًا. ومن الشواهد الرمزية البارزة على هذا التضامن، نشر صحيفة *أم القرى* الرسمية في عددها رقم ١٣٥٦ الصادر يوم الجمعة ٢٨ مايو ١٩٩٣م، قصيدةً مؤثرةً للشاعر الكبير حسن عبد الله القرشي بعنوان "إلى سراييفو"، حملت بُعدًا أدبيًا وإنسانيًا يُجسّد شعور المملكة بوحدة الدين والمصير مع أهل سراييفو.

ولم يقتصر الدعم السعودي على البعد السياسي والرمزي، بل شمل مساهمات كبيرة في مجالات الإغاثة، والتعليم، وإعادة إعمار المساجد والمراكز الإسلامية التي دُمّرت خلال الحرب. وفي خطوة تعبّر عن بعدٍ ثقافي ومعرفي عميق، يُجرى حاليًا تنفيذ مشروع بناء مبنى جديد للمكتبة الوطنية في البوسنة والهرسك، بتمويلٍ كامل من المملكة العربية السعودية، داخل مجمع جامعة سراييفو، وهو ما يُعد شاهدًا آخر على الحضور السعودي المستمر في المشهد البلقاني، ودليلًا واضحًا على المكانة الرفيعة التي تولها المملكة للمشاريع المعرفية والثقافية في هذه المنطقة.

ويمكن القول إن العلاقات بين المملكة والبوسنة تمثل نموذجًا ناضجًا ونوعيًا لما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين دولة محورية في العالم الإسلامي، مثل المملكة، ومجتمعات إسلامية أوروبية تسعى إلى الحفاظ على هويتها وسط بيئات

متعددة الأديان والثقافات. هذا النموذج، بما يحمله من عناصر الدعم والتكامل والتفاهم، يصلح أن يُستثمر ويُعمم في علاقات المملكة مع دولٍ أخرى في المنطقة، ككوسوفو، وألبانيا، ومقدونيا الشمالية، التي شهدت هي الأخرى اهتمامًا سعوديًا مماثلًا، سواء عبر دعم المجتمعات المسلمة، أو تعليم أبنائها، أو المشاركة في جهود إعادة البناء الديني والثقافي، بعد عقود من التهميش أو الصراع.

ح. العلاقات الثنائية بين المملكة العربية السعودية وكوسوفو

بعد إعلان استقلال جمهورية كوسوفو، كانت المملكة العربية السعودية من أوائل الدول التي عبّرت عن دعمها السياسي لقضية كوسوفو، تأكيدًا على حق الشعوب المسلمة في تقرير مصيرها ضمن إطار العدالة الدولية. وقد امتدّ هذا الدعم ليشمل ميادين أخرى، من أبرزها دعم المشيخة الإسلامية، والمشاركة في جهود بناء المؤسسات الدينية والتعليمية، وتوفير الفرص أمام الطلبة الكوسوفيين لمتابعة دراستهم في الجامعات السعودية. وقد أدّت هذه الجامعات دورًا مهمًا في تأهيل جيل جديد من الكوادر الدينية في كوسوفو، في وقتٍ كان فيه المجتمع في أمسّ الحاجة إلى خطاب ديني متوازن، يستند إلى مرجعية علمية رصينة، ويجمع بين الأصالة والانفتاح، ويُسهم في تثبيت الهوية الإسلامية ضمن بيئة متعددة الأديان والثقافات.

خ. العلاقات الثنائية بين المملكة العربية السعودية وصربيا

رغم الحساسيات السياسية الناتجة عن صراعات التسعينيات، تسعى المملكة العربية السعودية إلى إقامة علاقات متوازنة وبنّاءة مع جمهورية صربيا، ترتكز أساسًا على التفاهم الثقافي والتعاون الاقتصادي، بعيدًا عن التجاذبات السياسية المباشرة. ورغم أن مجالات التعاون الأكاديمي والديني لا تزال محدودة في الوقت الراهن، فإنّ آفاق تعزيزها في المستقبل تبدو واعدة، لا سيما من خلال مبادرات تعليمية وحوارية تُعزّز جسور التفاهم المتبادل. ومن الجدير بالاهتمام أن المملكة تحتفظ بعلاقات وثيقة ومتميزة مع المشيخة الإسلامية في منطقة السنجق، وهي علاقات تتسم بالتعاون المنتظم في ميادين التعليم الديني، والتكوين الأكاديمي، والعمل الثقافي، على نحو يشبه التعاون القائم مع المشيخة الإسلامية في البوسنة والهرسك. ويعكس هذا النمط من التعاون إدراكًا سعوديًا عميقًا لأهمية الدور الذي تؤديه المشيخة في الحفاظ على الهوية الإسلامية في صربيا، واعترافًا بمكانتها الحيوية في إطار منظومة العلاقات السعودية-البلقانية الأوسع، بوصفها حلقة وصل دينية وثقافية ذات تأثير متجذّر ومستمر.

د. العلاقات الثنائية بين المملكة العربية السعودية والجبل الأسود

بدأت العلاقات الدبلوماسية رسميًا بعد الاستقلال، مع اهتمام متبادل بتطوير العلاقات الثقافية والدينية. يوجد عدد محدود من الطلبة الجبليين الذين تلقوا تعليمهم في الجامعات السعودية، ما يُمهّد لإمكانات مستقبلية في التعليم والدعوة. وكما هو الحال في باقي دول البلقان، أسهمت المملكة العربية السعودية في دعم البنية التحتية اللازمة لتعزيز أداء المشيخة الإسلامية في الجبل الأسود، من خلال مشاريع تهدف إلى تحسين ظروف التعليم الديني، وتطوير المراكز والمرافق الإسلامية. ومن خلال هذا الملتقى، تؤكد المملكة مجددًا استعدادها لتعميق مجالات التعاون الثنائي، ولا سيما في ميادين التعليم وتكوين الشباب، بما يخدم مصلحة البلدين ويعزز من حضور القيم الإسلامية الوسطية في المنطقة.

ذ. العلاقات الثنائية بين المملكة العربية السعودية ومقدونيا الشمالية

شهدت السنوات الأخيرة اهتمامًا متزايدًا من قِبل المملكة العربية السعودية بتعزيز التبادل الثقافي والتعليمي مع جمهورية مقدونيا الشمالية، حيث تعيش أقلية مسلمة تحتاج إلى دعم تعليمي ومؤسساتي متين. وتُعدّ المنح الدراسية والبرامج التدريبية الموجهة للأئمة والمعلمين من أهم الآليات المتاحة حاليًا لتعزيز هذا التعاون. ومن المهم التأكيد على أن العلاقة بين مسلمي مقدونيا الشمالية والمملكة ليست علاقة آنية أو مستجدة، بل تمتد جذورها إلى قرون مضت، وكان

الحج إلى الحرمين الشريفين أحد أبرز مظاهر هذا التواصل التاريخي المستمر. ويُضاف إلى ذلك وجود بنية تعليمية إسلامية متكاملة داخل البلاد، تشمل الكتاتيب، ومادة التربية الإسلامية في المدارس العامة، والمدارس الثانوية الشرعية، والكلية الإسلامية، وهي مؤسسات تشكّل قاعدة صلبة لتطوير علاقات علمية وثقافية مثمرة مع الجامعات السعودية. ومن شأن الارتقاء بهذا التعاون أن يُشكّل ركيزة محورية في بناء شراكة سعودية-بلقانية أشمل، لا سيما في مجالات إعداد الكوادر الدينية الشابة، وتبادل الخبرات التعليمية، وصياغة رؤية مشتركة لواقع الإسلام في السياقات الأوروبية المعاصرة.

ر. العلاقات الثنائية بين المملكة العربية السعودية وكرواتيا

تُعدّ العلاقات بين المملكة العربية السعودية وجمهورية كرواتيا حديثة نسبيًا ومحدودة من حيث نطاقها، إلا أن بعض مجالات التعاون الاقتصادي والدبلوماسي بدأت تتبلور في السنوات الأخيرة، مما يفتح الباب أمام توسيع هذه العلاقات مستقبلًا. ويُمكن تطوير الشراكة الأكاديمية بين الجانبين ضمن إطار الحوار الثقافي واللغوي، وبما يخدم التقارب الحضاري ويعزّز الفهم المتبادل. ومن الجدير بالذكر أن كرواتيا، إلى جانب سلوفينيا، تُعدّ عضوًا كامل العضوية في الاتحاد الأوروبي، بما تفرضه هذه العضوية من خصوصيات قانونية وسياسية، وتتيحه من آفاق تعاون متقدمة مع دول الغرب والشمال الأوروبي، وهو ما يشكّل فرصة إضافية لتوسيع مساحات الشراكة مع المملكة في أبعاد جديدة. أما من الناحية الدينية والمؤسساتية، فإن المشيخة الإسلامية في كرواتيا، إلى جانب مشيختي سلوفينيا والسنجق في صربيا، تنضوي جميعًا ضمن الإطار التنظيمي للمشيخة الإسلامية في البوسنة والهرسك، الأمر الذي يشكّل أساسًا متينًا لبناء تعاون فعّال في مجالات التعليم، والثقافة، والحوار بين الأديان. وقد أدّى المركز الإسلامي في العاصمة زغرب دورًا محوريًا في إغاثة اللاجئين إبان حرب البوسنة، وكان محطة مركزية لربط الجهود الإنسانية القادمة من الدول الإسلامية مع البوسنة، وذلك في وقتٍ لم تكن فيه العلاقات الدبلوماسية الرسمية قد اكتملت بعد مع العديد من الدول.

ومن هذا المنطلق، يُمكن النظر إلى العلاقات السعودية-البلقانية، في بعدها غير الرسمي والإنساني، بوصفها شبكة تواصل حيّة، سبقت المؤسسات الرسمية، وأسهمت في تمهيد الطريق أمام بناء علاقات أكثر شمولًا وعمقًا واستدامة.

ز. العلاقات الثنائية بين المملكة العربية السعودية وسلوفينيا

العلاقات لا تزال في بداياتها، مع تركيز على التعاون في المحافل الدولية. رغم قلة عدد المسلمين، إلا أن مجالات البحث في التعايش الديني والتعاون الأكاديمي في حقل دراسات الشرق الأوسط تفتح آفاقًا جديدة. كما تُعد سلوفينيا، على غرار كرواتيا، عضوًا كامل العضوية في الاتحاد الأوروبي، وهو ما يمنح علاقاتها الخارجية أبعادًا إضافية في إطار الشراكة الأوروبية الأوسع. وتتمتع المشيخة الإسلامية في سلوفينيا ببنية تحتية متقدمة، يتصدرها المركز الإسلامي في العاصمة ليوبليانا، الذي يُعد من أكثر المراكز الإسلامية تطورًا وحداثة في القارة الأوروبية، سواء من حيث المعمار أو التجهيز أو الوظيفة الثقافية والدينية. ويمثل هذا المركز منصة مثالية لتطوير برامج تعاون ثنائية في مجالات التعليم والحوار والتبادل الأكاديمي، وهو ما يوفّر أرضية مادية ومعنوية لتعزيز العلاقات السعودية-السلوفينية ضمن الإطار البلقاني العام.

الفصل الثالث: البعد الديني والروحي للعلاقات السعودية البلقانية في ضوء الحرمين الشريفين والحج والوقف

يشكّل البعد الديني والروحي أحد المرتكزات العميقة التي تقوم عليها العلاقة بين المملكة العربية السعودية وشعوب البلقان. فبعيدًا عن الإطار الدبلوماسي الرسمي، نجد أن الحرمين الشريفين والحج والوقف قد لعبوا أدوارًا مركزية في بناء وعي جمعي إسلامي، ظلّ عبر القرون يشدّ المسلمين في البلقان وجدانيًا وثقافيًا نحو الأرض المباركة. وإذا كانت العلاقات السياسية قد تأخرت في التشكل، فإن هذه الروابط الروحية كانت دائمًا حيّة، تُترجم في زيارات الحجاج، وفي الدعاء باتجاه

القبلة، وفي الرمزية العاطفية التي يمثلها الحرم المكي والمدني في المخيال الديني للمسلمين في المنطقة. هذا البعد، وإن بدا في الظاهر غير رسمي، إلا أنه ساهم بفعالية في بناء جسور التواصل، وسهّل في ما بعد استقبال الأطر التعليمية والدعوية القادمة من المملكة، وشكّل عنصرًا نفسيًا وثقافيًا ممهّدًا لشراكة متوازنة ومبنية على الانتماء الإيماني المشترك.

أ. رمزية الحرمين الشريفين في وعي مسلمي البلقان

منذ قرون، احتلت مكة المكرمة والمدينة المنورة مكانة مقدسة في وجدان مسلمي البلقان، بوصفهما مركزَي الإيمان وموطنَي السيرة والرسالة. لم تكن هذه المكانة مقتصرة على أداء الشعائر فحسب، بل كانت الحرمين الشريفين تمثلان "القدس الروحية" التي تلتقي عندها قلوب المسلمين، مهما بعدت الأقاليم وتعددت الثقافات. وكانت صور الكعبة المشرفة والمآذن النبوية تزين جدران البيوت والزوايا والمدارس الإسلامية في سراييفو، بريزرن، شكودر، وسكوبيه، تعبيرًا عن التعلق الروحي وسمو القصد.

ب. الحج كجسر دائم بين البلقان والحجاز

لم يكن الحج بالنسبة لمسلمي البلقان مجرد فريضة دينية. كان الحج، وما زال، رابطًا حيًّا بين مسلمي البلقان وأرض الوحي. فقد كانت الرحلة إلى مكة تمثل ذروة التعبير عن الانتماء الإسلامي، ومصدرًا لتجديد الإيمان والانخراط في الأمة الإسلامية الجامعة. رغم صعوبة الطريق وطول المسافة في عصور ما قبل الدولة الحديثة، كان الحجاج من البلقان يسافرون بحرًا من موانئ سالونيك ودوريس وبيروت، أو برًا عبر إسطنبول ودمشق، ويتخذون أشهرًا عدة للوصول، حاملين معهم الدعاء، والآمال، والرغبة في اللقاء بالمقدس. وقد احتفظت بعض العائلات البلقانية بوثائق "الحجّية" التي تثبت أداء أجدادهم لهذه الفريضة، وتعتبر هذه الوثائق مصدر فخر عائلي ومرجعية دينية واجتماعية، بل وشهادة رمزية على الصلة بالمملكة قبل نشأتها الرسمية.

ت. أثر الأوقاف المرتبطة بالحرمين في و اقع المسلمين في البلقان

أظهرت دراسات أرشيفية موثوقة وجود أوقاف مخصصة من بعض أثرياء البلقان لدعم الحرمين الشريفين، كما أن الدولة العثمانية أدرجت العديد من هذه الأوقاف ضمن سجلات خدمات الحرم، مثل ماء زمزم، وإطعام الحجاج، وصيانة المسجد النبوي. وفي المقابل، شهدت مدن عدة في البلقان دعمًا ملموسًا من مؤسسات سعودية في العصر الحديث، تمثّل في إعادة إعمار المساجد والمراكز الإسلامية، لا سيما في أعقاب الحروب والنزاعات التي عرفتها كل من البوسنة وكوسوفو. ولا شك أن مجرد وجود هذه المعطيات التاريخية الصريحة يُعد، في حد ذاته، دليلاً كافيًا على عمق العلاقة بين المملكة العربية السعودية وشعوب البلقان، علاقة يتقدّم فيها المحتوى على الشكل، وتسبق فيها الرابطة المعنوية الإطارَ الرسمي والدبلوماسي. وبعيدًا عن أي مبالغات أو تصورات عاطفية، فإن البرهنة العقلية على وجود هذه العلاقة واستمرارها أمر ممكن وواقعي. لقد كانت، ولا تزال، وستظل - بإذن الله - علاقةً حيّة ومتجددة، تنبض بالتواصل والولاء المشترك. ويبقى علينا نحن، أبناء هذا الجيل، أن نحسن بناءها، ونُعيد صياغتها، ونُدير أطرها الإدارية بما يليق بعراقتها، وبما يُعبّر عن عمقها الحضاري والإنساني في آنٍ معًا.

ث. الحرمين الشريفين كمصدر لتكوين الوعي الإسلامي الجمعي

يمثل الحج، بما يحمله من رمزية اللقاء الشامل للأمة، فرصة لمسلمي البلقان للقاء إخوانهم من العالم الإسلامي، والتعرف على تنوع التجارب الإسلامية، وهو ما عمّق لديهم الوعي العالمي للإسلام، ودفعهم لحمل رسالة التعاون والانفتاح الديني بعد عودتهم. ولم يكن هذا البعد مجرد شعور فردي، بل كان له انعكاسات فكرية وثقافية في الخطب والكتابات والتعليم المحلي في البلقان، حيث أصبح الحرمين الشريفين عنصرًا محوريًا في صياغة الوعي الإسلامي الحديث في تلك المجتمعات.

الفصل الرابع: التعليم والدعوة ودور الجامعات السعودية في تكوين النخبة الدينية والفكرية في البلقان

يشكّل التعليم أحد المحاور الأساسية في العلاقات السعودية مع دول البلقان، نظرًا لما له من أثر بعيد المدى في بناء الأفراد وتكوين المجتمعات. وقد أدركت المملكة، في وقت مبكر، أهمية دعم المجتمعات المسلمة في هذه المنطقة من خلال فتح أبواب التعليم الشرعي واللغوي أمام شبابها، وتمكينهم من العودة إلى بلدانهم حاملين علمًا وتوجهًا وخطابًا دينيًا معتدلًا. ويتناول هذا الفصل أربعة محاور مترابطة، تبدأ بالخلفية التاريخية للحاجة إلى الكوادر الدينية بعد التحولات السياسية في المنطقة، ثم دور الجامعات السعودية في الاستجابة لهذه الحاجة، مرورًا بتأثير الخريجين في بلدانهم، وانتهاءً بالتحديات التي واجهوها في التوفيق بين المرجعية المستوردة والواقع الثقافي المحلي.

أ. خلفية تاريخية حول الحاجة إلى الكوادر العلمية بعد مرحلة ما بعد الشيوعية

شهدت منطقة البلقان خلال القرن العشرين موجات من التحولات السياسية والثقافية العميقة، ولا سيما بعد انهيار الأنظمة الشيوعية في تسعينيات القرن الماضي. وقد أدى هذا التحول إلى فراغ ديني وتعليمي في العديد من المجتمعات ذات الأغلبية أو الأقلية المسلمة، ما استدعى دعمًا خارجيًا لإعادة بناء المؤسسات الدينية وتعزيز التعليم الإسلامي المعتدل. وفي هذا السياق، برزت المملكة العربية السعودية كأحد أبرز الشركاء في سد هذا الفراغ، من خلال استقبال مئات الطلبة من البوسنة، كوسوفو، ألبانيا، مقدونيا الشمالية، والجبل الأسود، وغيرهم، للدراسة في جامعاتها العريقة. ولا بد من الإشارة إلى أن المسلمين في منطقة البلقان لطالما كانوا جزءًا من مسارٍ حضاري تعليمي متصل بمراكز العلم الكبرى في العالم الإسلامي. ففي العصور العثمانية، كان إسطنبول هو المركز العلمي الأهم، يليه في مراحل لاحقة القاهرة، وبدرجة أقل بغداد، وطرابلس، ودمشق، وعمان، وكوالالمبور. ومع تطور الزمن وانتقال ثقل التعليم الشرعي، أصبحت مكة المكرمة، والمدينة المنورة، ثم الرياض، محاورَ أساسية في إنتاج المعرفة الإسلامية. وقد ساعد هذا الامتداد العلمي الطويل، وما رافقه من انفتاح على المدارس الفقهية والمذاهب العلمية، على تكوين نخبة دينية متعلمة في البلقان، مطلعة على الأدبيات الإسلامية العالمية، ومتمكنة من الربط بين الأصول والواقع، مما حفظ للمنطقة خصوصيتها داخل الأمة الإسلامية، ضمن إطار أهل السنة والجماعة.

وعبر هذا التراكم المعرفي، تحقق توازن فريد بين أصالة المرجعية الإسلامية ومعاصرة التناول والاجتهاد، تمثّل في مشاركة علماء البلقان في اللجان الوطنية للإفتاء والمجامع الفقهية الدولية، وهو ما أسهم في ترسيخ توحيد الصف من خلال توحيد الكلمة على المستوى المؤسسي في تفسير الإسلام وتقديمه داخل مجتمعات البلقان. ويُنظر إلى هذا النموذج، في كثير من المحافل، بوصفه صيغة إنقاذية في حفظ الهوية الإسلامية وسط التحديات الثقافية والديموغرافية المتسارعة.

ب. الجامعات السعودية كمحور في التكوين العلمي والدعوي

من أبرز المؤسسات التي احتضنت طلاب البلقان وساهمت في تكوينهم العلمي والدعوي:

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

وفّرت بيئة علمية منفتحة على مختلف المدارس الإسلامية، وخرّجت عددًا كبيرًا من الأئمة والدعاة الذين أصبحوا ركائز في التعليم والخطاب الديني المعتدل في بلدانهم.

جامعة أم القرى بمكة المكرمة

تميّزت بجمعها بين أصالة المرجعية المكية وتنوع التخصصات، وأسهمت في تأهيل عدد من طلبة البلقان في مجالات الشريعة والدعوة واللغة، مع خصوصية القرب من الحرمين وتأثيرهما الروحي والعلمي.

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

ساهمت في تكوين نخبة فقهية دعوية ذات كفاءة أكاديمية، متخصصة في الشريعة واللغة العربية، وأسست لشبكة من الخريجين الناشطين في التعليم والمؤسسات الإسلامية في البلقان.

جامعة الملك سعود

رغم تركيزها الأكاديمي العام، فقد لعبت دورًا هامًا في دعم اللغة العربية والدراسات الإسلامية من خلال معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، مما شكّل مدخلًا تمهيديًا مهمًا لعدد من الطلبة البلقانيين في بداياتهم التعليمية في المملكة.

امتاز التكوين العلمي في هذه الجامعات بالصرامة المنهجية، والالتزام بالمرجعية النصية، والانفتاح النسبي على التعدد الفقهي، مما أتاح للطلبة من البلقان اكتساب معرفة رصينة وتأهيل دعوي فعّال.

ت. أثر خريجي الجامعات السعودية في مجتمعاتهم المحلية

بعد تخرجهم، عاد كثير من هؤلاء الطلاب إلى بلدانهم وأسهموا في إحياء التعليم الديني في المدارس والمراكز الإسلامية، إعادة بناء المساجد التي دُمرت خلال الحروب، خاصة في البوسنة وكوسوفو، تأسيس جمعيات ثقافية وإغاثية مستقلة أو بالتعاون مع الهيئات السعودية، إعداد أجيال جديدة من الطلبة المحليين، ما ساعد على توطين المعرفة وتوسيع دائرة التأثير. وقد أصبح عددٌ منهم شخصياتٍ مرجعيةً في بلدانهم، يتولّون مناصبَ قياديةً بوصفهم خطباءَ جمعة، ومديري مدارس شرعية، وأساتذة في كليات العلوم الإسلامية، وأعضاء في هيئات الإفتاء ومجالس المشيخات والمفتيّات.

ث. التحديات الثقافية والتوازن بين النموذج المستورد والخصوصية المحلية

رغم هذا التأثير الإيجابي الكبير، واجه بعض الخريجين تحديات في التوفيق بين النموذج العلمي المستورد والواقع الثقافي المحلي. فقد ظهرت أحيانًا توترات بسبب الاختلافات في التقاليد الفقهية، أو في نمط الدعوة والخطاب الديني. لكن مع مرور الوقت، تشكّلت نخب معتدلة قادرة على تأصيل المرجعية السعودية ضمن خصوصية البلقان، بما يحقق توازنًا بين الأصالة والواقعية، وهو ما يعزز فعالية العلاقة التعليمية والدينية في المدى البعيد.

الفصل الخامس: الخاتمة والتوصيات

تُعدّ هذه الدراسة محاولة جادّة لرصد أحد الأبعاد المحورية في العلاقات بين المملكة العربية السعودية ودول البلقان، من خلال تسليط الضوء على المكونات التاريخية والدينية والتعليمية التي شكّلت جوهر هذا التواصل العميق والمتجذّر. وقد سعى هذا البحث إلى تجاوز الإطار الدبلوماسي البحت، من خلال تحليل المسارات الثقافية والروحية التي حوّلت هذه العلاقة إلى نموذج فريد للتكامل بين المرجعية الدينية والرؤية التنموية الحديثة. وفي هذا الفصل الختامي، يتم تقديم خلاصة مركّزة لأبرز النتائج التي تم التوصّل إليها في الفصول السابقة، إلى جانب عدد من التوصيات العملية التي يمكن أن تسهم في تعزيز مسار العلاقات السعودية-البلقانية، لا سيما في مجالات التعليم، والدعوة، والشراكة المؤسسية المستدامة.

أولًا، تُبيّن هذه الدراسة أن العلاقات بين المملكة العربية السعودية ودول البلقان لا يمكن اختزالها في أبعاد سياسية أو اقتصادية آنية، بل هي علاقات تضرب بجذورها في أعماق التاريخ الإسلامي المشترك، الذي جمع بين الشعوب عبر شعيرة الحج، ورمزية الحرمين الشريفين، ورحلات طلب العلم، وروابط التواصل الروحي والثقافي التي تجاوزت الحدود الجغرافية والسياسية.

لقد أظهرت الفصول السابقة كيف تطوّرت هذه العلاقات من صيغ غير رسمية، قائمة على الوجدان الديني والانتماء العقدي، إلى شراكات مؤسساتية راسخة، تمثّلت في برامج التعليم، ومشاريع الدعوة، والمساعدات الإنسانية،

ومبادرات بناء القدرات المجتمعية. كما تبيّن من خلال تحليل السياقات التاريخية أن المملكة العربية السعودية اضطلعت بدور محوري في دعم المجتمعات الإسلامية في البلقان، خصوصًا في أوقات الأزمات الكبرى، عقب انهيار الأنظمة الشيوعية، وخلال الحروب العنيفة التي عصفت بالمنطقة، وهو ما أضفى على هذه العلاقة بعدًا أخلاقيًا وإنسانيًا نادرًا في نماذج التعاون الدولي المعاصر.

ثانيًا، يمكن تلخيص أبرز ما توصّلت إليه هذه الدراسة في أن العلاقة بين المملكة العربية السعودية ودول البلقان لم تكن يومًا علاقةً عابرة أو ظرفية، بل تميّزت بالاستمرارية والتراكم التاريخي، خاصةً عبر فريضة الحج ومسارات التعليم الشرعي، وهو ما شكّل أساسًا راسخًا لهذه العلاقة، وقاعدةً صلبة يمكن البناء عليها بثقة في المستقبل. وقد أدّت الجامعات السعودية دورًا استراتيجيًا في إعداد نخب دينية معتدلة وواعية، أسهمت بفعالية في ترسيخ خطاب ديني وسطي داخل مجتمعاتها، يتّسم بالتوازن والانفتاح والتأصيل.

ومع ذلك، فإن التحديات الثقافية، وتعدّد التأويلات الدينية، تفرض ضرورة تعزيز التأصيل العلمي الرصين، وتطوير آليات التواصل المستمر بين النخب المحلية والمؤسسات المرجعية في المملكة، بما يضمن استدامة التأثير وتوحيد المرجعية. ويُعدّ ما تحظى به المملكة من احترام شعبي وثقة واسعة بين مسلمي البلقان، ولا سيما تجاه مؤسساتها الدينية والعلمية، رأس مال معنوي نفيس ينبغي الحفاظ عليه، واستثماره بعناية، بما يخدم المصالح المشتركة، ويعزّز الروابط الأخوية القائمة على وحدة العقيدة والمصير.

ثالثًا، وانطلاقًا من هذه المعطيات، يمكن اقتراح مجموعة من التوصيات التي من شأنها أن تُعزّز مسار العلاقات السعودية-البلقانية، وتفتح آفاقًا جديدة للتعاون في مجالات التعليم، والدعوة، والثقافة، والتفكير الاستراتيجي المشترك. وفي مقدّمة هذه التوصيات، التأكيد على أهمية تعزيز الحضور الأكاديمي السعودي في دول البلقان، من خلال توقيع مذكرات تفاهم مع الجامعات الوطنية والمشيخات الإسلامية، بما يضمن إنشاء آليات تعاون مؤسسية منتظمة وفعّالة. كما يُستحسن دعم تعليم اللغة العربية، ومناهج العلوم الإسلامية ذات الطابع الوسطي، في المدارس والمراكز الثقافية، لما لذلك من أثر مباشر في ترسيخ الهوية الإسلامية المعتدلة لدى الأجيال الناشئة.

وتوصي الدراسة كذلك بتنظيم برامج تدريبية مشتركة للأئمة والدعاة، تجمع بين المرجعية العلمية السعودية، والخبرة الميدانية التي يملكها علماء المنطقة، بما يُسهم في إنتاج خطاب ديني متجدّد، مؤصّل، ومتجذّر في الواقع الأوروبي المعاصر.

ومن التوصيات الحيوية أيضًا توسيع فرص المنح الدراسية للطلبة البلقانيين، وفتح مسارات أكاديمية جديدة أمامهم في مجالات الدراسات الإسلامية والاجتماعية، بما يُسهم في تكوين نخب فكرية متوازنة، قادرة على تمثيل قيم الإسلام بلغة العصر، وفي إطار التعدّدية الأوروبية.

وعلى المستوى الاستراتيجي، يُقترح إنشاء مركز دراسات سعودي-بلقاني مشترك، يُعنى بقضايا الهوية، والمواطنة، والإسلام في أوروبا، من منظور أكاديمي ناضج، ويُشكّل منصةً فكرية لتبادل الرؤى والتجارب والمقاربات المعرفية.

كما يُوصى بتحفيز البحث التاريخي المشترك في موضوعات مثل تاريخ الحجاج البلقانيين، ومراسلات العلماء، وتحقيق الوثائق النادرة المحفوظة في مكتبات المنطقة، لما تمثله من قيمة علمية وتوثيقية عالية، ولما تُوفره من أرضية صلبة لبناء سردية تاريخية جامعة، تُنير المستقبل بنور الذاكرة المشتركة.

رابعًا، إن ما يجمع المملكة العربية السعودية ودول البلقان، في جوهره العميق، ليس مجرّد تاريخ مشترك أو مصالح آنية، بل هو منظومة متكاملة من القيم الراسخة، تنبع من الإيمان بوحدة الأمة، والاعتزاز بالانتماء الإسلامي، والاحترام المتبادل لتنوّع الهويات الثقافية والمذهبية ضمن إطار جامع ومشترك. وتُعدّ مثل هذه المبادرات العلمية، وفي طليعتها هذا

المؤتمر المبارك الذي نلتقي في ظلاله اليوم، فرصةً ثمينة لتجديد هذا العهد الثقافي، وللتأكيد على أن المعرفة الصادقة، والاحترام المتبادل، والحوار المستمر، هي السبيل الأمثل لبناء مستقبل تتكامل فيه الجهود، وتتقاطع فيه الرؤى، وتتحقق فيه الشراكة الحضارية العادلة.

وإنني إذ أختتم هذا البحث، أتوجه بخالص الشكر وعظيم الامتنان لكل من منحني شرف المشاركة في هذا المحفل العلمي المتميّز، راجيًا من الله تعالى أن يكون هذا الجهد المتواضع لبنةً مخلصةً في بناء صرح التفاهم والمحبة بين المملكة العربية السعودية وشعوب البلقان، وأن يُسهم، ولو بقدر يسير، في تعزيز جسور التعاون، وترسيخ معاني الوفاء والانتماء في ذاكرة العلاقات بين الجانبين.

كما أخصّ بالشكر اللجنة العلمية للمؤتمر على جهودها المباركة وتنظيمها المحكم، سائلًا الله تعالى أن يتقبّل هذا المسعى، وأن يجعل العلاقات بين المملكة العربية السعودية وشعوب البلقان علاقات راسخة ومستقرة، ومفعمة بالخير والنفع المتبادل، إنه سميعٌ مجيب، وبالإجابة جدير.

المراجع:

بدران بن عبدالرحمن الحنيحن، *العلاقات السعودية البوسنيّة ١٤١٢-١٤٣٦هـ/١٩٩٢-٢٠١٥ م دراسة تاريخية حضارية*، مركز الملك سلمان للدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، الرياض، ١٤٤٢ هـ

Mirnes Kovač, *Kraljevi i predsjednici: saudijsko-američka diplomatija i spašavanje Bosne i Hercegovine*, Dobra Kniga d.o.o. Sarajevo i Fakultet političkih nauka Univerziteta u Sarajevu, Sarajevo, ٢٠٢٤

ميرنس كوفاتش، *الملوك والرؤساء: الدبلوماسية السعودية-الأمريكية وإنقاذ البوسنة والهرسك*، دار "دوبرا كنيغا" وكلية العلوم السياسية بجامعة سراييفو، سراييفو، ٢٠٢٤م.

Muhamed Filipović, *Bosna i Hercegovina – najvažnije geografske, demografske, historijske, kulturne i političke činjenice*, Compact, Sarajevo, ١٩٩٧

محمد فيليبوفيتش، *البوسنة والهرسك – أهم الحقائق الجغرافية والديموغرافية والتاريخية والثقافية والسياسية*، دار "كومباكت"، سراييفو، ١٩٩٧م.

Ejup Ganić, *King Selman: The Boisnian Legacy*, University Sarajevo School of Science and Technology, Sarajevo, ٢٠١٧

أيوب غانيتش، *الملك سلمان: الإرث البوسني*، جامعة سراييفو – كلية العلوم والتكنولوجيا، سراييفو، ٢٠١٧م.

Mehmedalija Hadžić, *Saradnja između naroda Kraljevine Saudijske Arabije i Bosne i Hercegovine*, Kulturni centar „Kralj Fahd“, Sarajevo, ٢٠١٨

محمد علي حاجيتش، التعاون بين شعوب المملكة العربية السعودية والبوسنة والهرسك، المركز الثقافي "الملك فهد"، سراييفو، ٢٠١٨م.

Richard Holbrooke, *Završiti rat*, Šahinpašić, Sarajevo, ١٩٩٨

ريتشارد هولبروك، *إنهاء الحرب*، دار "شاهينباشيتش"، سراييفو، ١٩٩٨م.